حفرية إنقاذية لموقع أثري ببلدية سيدي افرج

بولاية سوق أهراس

أ.عنان سليم

معهد الآثار - جامعة الجزائر -2-

مـــقـــــدمـــة

يختلف العمل في صيانة وترميم المباني التاريخية و الحفاظ عليها من مؤسسة إلى أخرى و من فرقة بحث لأخرى وفقاً للوسائل المتوفرة، سواء أكانت وسائل مادية (مالية إنسانية) أو معنوية (كفاءات علمية)، فهناك من يرى ضرورة صيانة ذلك التراث تعبيراً عن الاحترام للماضيو الحرص على مواصلة الحوار معه لأن في ذلك ربطاً للماضي بالحاضر، و هناك من ينظر إلى التراث نظرة سلبية و يرىفيه دلالةً على تخلّف الماضي و ضرورة التخلّص منه، و قد سبب هذا تدمير كثيرمن المعالم التاريخية، فقد هُدمت بعض المبانيالأثريّة أو التراثية لاستخدام حجارتها في بناء جديد أو هُدمت الأسوارلاستخدام حجارتها في بناء مباني شخصية.

إنالبحث في صيانة وحماية وترميم المعالم التاريخية و التراث عامة هو عمليةشاقة وطويلة ومتشعبة نظراً لكثرة تلك المعالم وتطور الأساليب والمناهجالمتعلقة بالموضوع،وإذا أردنا الإحاطة بكافة المعالم مع تفصيلاتها وبيانمشكلاتها فإن الأمر يحتاج إلى فرق عمل متخصصة ويحتاج إلى وقت طويل.

من أجل هذا، سأسعى إلى تناول الموضوع في إطاره العام دون الغوص في التفاصيلو ذلك بضرب أمثلة عنحفرية إنقاذية أجريت ببلدية سيدي افرج دائرة المراهنة التي تقع على بعد حوالي 32 كلم جنوب شرق ولاية سوق أهراس.

وضعية المكان : خلال القيام بمشروع 30 مسكن ريفيمن طرف السلطات المحلية للبلدية، تم حفر خندقين لتطهير ونظافة المكان (Travaux d'assainissement)،هذا الحفر أدى إلى ظهور طبقية استراتيغرافية ذات مستويين متطابقين.المستوى السفلي يتمثل في قبور قديمة و يعلوها المستوى العلوي الذي يتمثل في بنايات شُيّدت بالحجارة الكبيرة (Pierre de taille) و حجارة الدبش(Moellon) مع ظهور قطع فسيفسائية هُدّمت خلال عملية الحفر.كما تم إخراج، بعض العناصر المعمارية المتمثلة في قطع لقواعد وجذوع أعمدة،مذبح و شواهد قبور،من حيّزها الاثري.تجدر الإشارة أيضا إلى أن الموقع قد تعرض في الماضي إلى التخريب خلال أعمال تموين السكان بالماء الصالح للشرب.

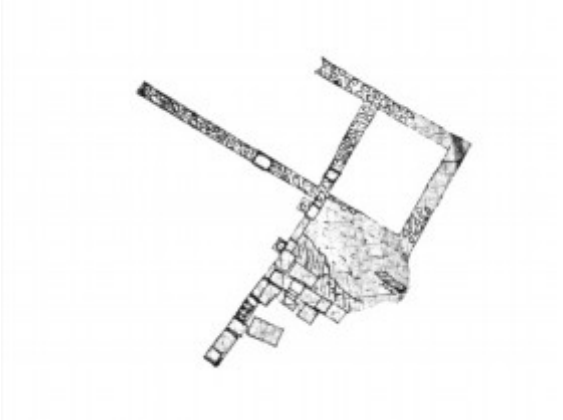

منهجية و هدف التدخل

إن الهدف من تدخلنا على الموقع الأثري كانت غايته تحديد نوعية و أهمية الآثار المكتشفة عفويا، و بالتالي السماح،أولا، للسلطات المحلية أن تكمل مشروع بناء30 مسكن ريفي.

من جهة أخرى و نظرا للعدد القليل من الباحثين المشاركين في هذه الحفرية الإنقاذية (05) و الوقت القصير الذي منح لنا(15 يوما)،فأعمال السبر أو المجسات انصبت معظمها على المعالم الظاهرة للعيان وذلك لتعيين نوعها و تحديد مساحتها وامتدادها و بالتالي حالة حفظها.

شرح و تفسير(interprétation)

الجهة الأولى

بعد عملية تنظيف للطبقات التي تعديلها من طرف إحدى الآلاتالميكانيكية، قمنا بحفرية سطحيةحتى نبين و نميز بعض المباني.

عملية التنظيف هذه، و التي أجريت على حواف الخندق السالف الذكر،الموجود على الجهة الغربية، سمحت لنا بالكشف عن قاعتين "أ" و "ب" مبنية بالحجارة الكبيرة (تقنية :QuadratumOpus) و ثلاث درجات، مهيأة على جدار فاصل،تصل فيما بينهما.وبعد عملية سبر داخل القاعة "ب" تمكنّا من العثور على أرضية مبلّطة بفسيفساء متعددة الألوان ذات زخارف هندسية،متدهورة نوعا ما جهة الخندق.

أضف إلى ذلك،و بعد أن بيّنا الجدار الشرقي للقاعة "ب" تمكنّا من العثور على قاعدتين لعمودين في مكانيهما....وضعية هاتين القاعدتين أدت إلى القول بأن الجهة تمتد أكثر ناحية الشرق،علما أننا أظهرنا إلى الوجود تاجين من الطراز الكورنثي و قطعة لعمود في مكانها الأصلي في الجهة الشرقية للقاعة "أ".

إذن،كل هذه المكتشفات المذكورة و كذا نوعية البناية المتبقية توحي إلى أن آثار هذه الجهة و التي تمثل المستويات الحديثة،تنتمي إلى بناية عمومية كبيرة.

الجهة الثانية : إمتد عملنا أكثر ناحية الجهة الجنوبية حتى نتمكن من معرفة مدى إمتداد البناية و ذلك بالقيام بعدة أسبار و التي كشفت لنا عن مجموعة من مؤخراتجدران (Pans) مشكّلة قاعتين أخريين مبنية بحجارة الدبش الكبيرة.

يبدو من الوهلة الأولى أن مجموعة بناية هذه الجهة،و التي يغلب عليهاطابع حجارة الدبش الكبيرة في تشييدها،تابعة لامتداد مجموعة بنايات الجهة الأولى.... و لا يؤكّد ذلك إلا قراءة معمقة للطبقاتالستراتيغرافية.

الجهة الثالثة : تتمركز هذه الجهة على مستوى الخندق الشرقي، الجانب الداخلي لجدار هذا الخندق يبيّن لنا أرضيات من الفسيفساء متعددة الألوان أغلبها مهدمة.المقطع يظهر لنا من جهتي الخندقفسيفساء محاطة بكتل من الحجارة الكبيرة موضوعة عموديا.

الجهة الرابعة :حفريات الجهة الرابعة أعطتنا آثار لفرن خاصبالفخار،هُدّم هو الآخر إثر أعمال الحفر.يبدو أنه فرن ذات شكل دائري،الجهة الداخلية من غرفة التسخين لا تزال عليها آثار التلبيس (Revêtement).و غرفةالتسخين هذه مغطاة بقبة من الآجر على دعامة دائرية من الطين المشوي لا تزال في مكانها.

اللقى الاثرية المكتشفة

1-شواهد قبور

أ- بلاطة من الحجر الكلسي

إ:0.83 م. ع:0.60 م. س:0.14 م.

ب-ثلاث قطع لبلاطات من الحجر الكلسي

إرتفاعها يتراوح ما بين :0.30 م. و 0.46 م. و سمكها ما بين 0.05 م. و 0.15 م.

ج- قطعة لبلاطة من الحجر الكلسي عليه طغراء المسيح

إ:0.27 م. ع:0.23 م. س:0.05 م.

2-أدواتأثرية

أ- الفخار

- جرة من الفخار المحلي (الفترة الرومانية)
- قطعة لمصباح زيتي (الفترة الرومانية)

ب- النقود

- نقد نوميدي، يبدو للملك ماسينيسا لكن حالة حفظه السيئة لا تسمح لنا بأن نجزم.

الوجه:رأس الملك ملتحي

الظهر:حصان يجري يسارا

- قطعة لنقد بيزنطي فاسدة جدا.

ج- الزجاج

عدة قطع زجاجية تم اكتشافها في الجهة الأولى، قطع عنق،قواعد زجاجات ومقابض.

الخـــــاتمـــــــــــــة

إن عملية التشخيص الأثري التي قمنا بها بموقع سيدي افرج و المقدّرة بعشرات الأمتار المربعة،سمحت لنا بتعيين و معرفة وجود تتابع مهم من المستويات الأثرية على عمق حوالي 3 أمتار.

تمثلت هذه المستويات الأثرية بمرحلتينأساسيتين من تعمير الموقع. المرحلة القديمة تعود إلى فترة أين استعمل فيها الموقع كمقبرة و يبقى تأريخها غير محدد.

المرحلة الحديثة تعود إلى فترة تم فيها هجر المقبرة و إعادة استعمال الموقع كبنايات عمومية، و ذلك من خلال ما تم العثور عليه من عناصر معمارية و تبليطات فسيفسائية توحي إلى وجود مؤسسة عمومية بنيت فوق مقبرة. ونظرا للأثاث الأثري المكتشف و التقنيات المستعملة في البناء يمكننا القول بأن المعالم الأثرية للمستوى العلوي (المرحلة الثانية) هي آخر فترة عُمّر فيها الموقع و نستطيع إرجاعها إلى فترة متأخرة من العهد الروماني. و المعالم المبنية بالحجارة الكبيرة بالجهة الأولى توحي إلى وجود بناية عمومية ذات طابع ديني.

و في الأخير وبعد هذا التشخيص الأثري الأول،علما أن مجموعة كبيرة من السكنات شُيّدت معظمها فوق الموقع،بدا لنا واجب القيام بحفرية إنقاذية ثانية لتحديد و معرفة مدى امتداد الموقع.

أيضا تحديد مصير حالة الفسيفساء، هل نقوم بحفظها في مكانها الأصلي بالموقع أو نزعها ووضعها في مكان آمن.

S.F.REIJ
F.Saar 08
5.4

S.F.REIJ
F.Saar 08
5.4